برنامج

"الحج عبادة وسلوك".

لفضيلة الشيخ

www.almosleh.com

((الحلقة السابعة)).

الحج عبادة وسلوك، قربى إلى اللهﷻ تنعكس على الأخلاق في الظاهر والباطن، فالحج ليس عملاً بدنياً ينقضي بانقضاء مناسكه، وانتهاء شعائره دون أن يثمر في القلب أثراً، وفي السلوك صلاحاً واستقامة.

الحج عمل من الأعمال الجليلة فرض الله فيه فرائض، وشرع فيه شرائع، فالقيام به على الوجه الذي يرضى الله تعالى هو من أداء الأمانة، التي قال الله تعالى فيها:﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾[1].

فهذا الأمر ينتظم كل واجب لزم الإنسان في حق اللهﷻ أو في حق الخلق، فإن أداء ذلك من أداء الأمانة التي افترضها الله تعالى على أهل الإيمان، ولا إيمان لمن لا أمانة له، لذلك اقترنت الأمانة بالإيمان حتى وصف الإيمان بالأمانة، كما جاء ذلك في حديث حذيفةرضي الله عنه أنه قال: «الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم علموا من القرآن، ثم علموا من السنة»[2].

وهذا يريد به الإيمان، فإن الأمانة التي نزلت في جذر قلوب الرجال، إنما هي التصديق بالنبيﷺ، وهو يحكي ما كان عليه الأمر من أول بعثة النبيﷺ.

فإن أول ما جاء به النبيﷺ هو دعوة الناس إلى عبادة الله وحده، إلى "لا إله إلا الله"، أن يعبدوه وحده لا شريك له، وهذا أس الإيمان وأصله وعليه بناءه وقوامه.

ولذلك قال حذيفة كما في "الصحيح"، حدثنا رسول اللهﷺ أن الأمانة – أي الإيمان – نزلت من السماء في جذر قلوب الرجال، بعد ذلك نزل القرآن مؤكداً لتلك الأمانة، ومحققاً لذلك الإيمان، ومفصلاً لواجباته، ومبيناً لخصاله وشعبه، وخلاله.

ولذلك قالﷺ:«ونزل القرآن فقرأوا القرآن وعملوا بالسنة».

---

(١) سورة النساء:٥٨.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٩٧)، ومسلم(١٤٣).

أي بعد أن نزل في قلوبهم الإيمان وذلك بالتصديق بالنبيﷺ.

فالأمانة شأنها عظيم، فالأمانة في ابتداء الأمر عمل قلبي، وهو أن يكون حفيظاً على عهد الله تعالى، وأعظم عهد بين العباد وبين اللهﷻ أن يعبدوه وحده لا شريك له.

لذلك قال الله تعالى:﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾(١)، فكان حقه أن يعبد وحده لا شريك له.

هذا قضاؤه وهذا أمره، وهذا شرعه ولا إله إلا الله مفتاح الجنة، من أتى بها كان من السعداء، ومن تخلف عنها و لم يحقق معناها كان من الأشقياء.

إن الأمانة تقتضي القيام بالعهد والحج شعاره التوحيد، فإن المؤمن يجأر إلى اللهﷻ في أول دخوله لهذا النسك بقوله" لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك".

وقفة عند هذه الكلمات العظيمة التي يرددها المؤمنون، ويهتف بها الحجاج والقاصدون لهذه البقعة المباركة.

إنها التزام بالإقامة على طاعة اللهﷻ، وفي هذا إقامة الأمانة، وطاعة الله في حقه، وطاعة الله في حق خلقه.

فهي الأمانة بكل معناها، فيما يتعلق بحق الله جل في علاه، وفيما يتعلق بحقوق العباد، بحقوق الخلق، فيصلح المعاش والمعاد، يصلح ما بين العبد والرب جل في علاه، وما بين العبد والخلق.

ثم بعد ذلك يعلن أعظم حق للهﷻ أنه لا يشرك معه أحدًا ولا يتوجه إلى سواه، "لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك"، فليس في هذه التلبية، ولا في هذه الإجابة لله شريك، بل هو المنفرد بها جل وعلا.

---

(١) سورة الإسراء:٢٣.

إن الأمانة في الحج تظهر من وجوه عديدة، فإن الأمانة في الحج تظهر في مكانه، فهو في البلد الأمين، المحفوظ من كل ما يكرهه الناس قدرًا وشرعًا.

فإن الله تعالى جعل هذا البيت آمنا، كما قال تعالى:﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾، قال:﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾[١].

والنسك الحج أو العمرة تكون في هذا المكان الآمن، فيأمن الإنسان على نفسه، كما أنه يأمن غيره، وهذا من الأمانة.

من الأمانة أن المؤمن مأمور بصيانة نفسه عن أموال الناس في كل مكان وفي الحرم على وجه الخصوص.

ولذلك قال النبيﷺ في بيان ما اختص الله تعالى هذه البقعة من المعاني، «ولا تحل لقطتها إلا لمنشد»[٢]، كما جاء ذلك في حديث ابن عباس في خصائص مكة.

قالﷺ :«إن الله حرَّم مكة فلم تحل لأحد قبلي، ولا تحل لأحد بعدي، إنما أحلت لي ساعة من نهار لا يختلى خلاها، ولا يعضد شجرها، ولا ينفر صيدها»، ثم قال: «ولا تلتقط لقطتها إلا لمعرف»، وفي رواية :«ولا تلتقط لقطتها إلا لمنشد»[٣].

أي معرف ينشد ويطلب صاحب هذه اللقطة الضائعة.

إن النبيﷺ أخبر فيما أخبر ممن رآهم في النار، في خبرهﷺ أنه رأى النار في صلاة الكسوف في "صحيح مسلم" من حديث جابر قال: «حتى رأيت فيها»، أي في النار «صاحب المحجن، يجر قصبه في النار» نعوذ بالله من الخذلان.

---

(١) سورة آل عمران:٩٦ – ٩٧.

(٢) أخرجه البخاري(٢٤٣٣)، ومسلم(١٣٥٣).

(٣) تقدم تخريجه.

ومن هو صاحب المحجن؟ قال النبيﷺ :«كان يسرق الحاج بمحجنه، فإن فطن له قال: إنما تعلق بمحجني، وإن غفل عنه ذهب به»[١].

أي ذهب بالمال الذي التقطه بالمحجن الذي يعلق بمتاع الناس وأموالهم.

هكذا يتبين لنا عظيم الأمانة التي أكد الشارع عليها في حق الحاج مكانًا ومالاً بدنًا ونفسًا بل حتى الشجر كما جاء في قولهﷺ «لا يعضد شوكها، ولا يختلى خلاها».

كل هذا من التأمين الذي اختص به هذا المكان المبارك.

والأمانة في مفهومها العام تشمل أداء كل ما وجب على المؤمن، وتحمله على فعل كل ما ندبه الله تعالى إليه، وتحمله على ترك كل ما نهاه الله عنه ورسوله.

وبذلك يتحقق للمؤمن الربط بين الأمانة وبين الحج.

إن خروجك إلى الحج طائعاً للهﷻ هو من أداء الأمانة.

إن التزامك بأركان الحج وواجباته وشروطه، هو من أداء الأمانة.

إن انتهاءك عما نهى الله تعالى عنه الحاج من محظورات الإحرام هو من أداء الأمانة.

إن صيانتك وتعظيمك للبقعة التي عظمها الله في البلد الحرام، هو من أداء الأمانة.

كل ذلك من أداء الأمانة التي ينبغي للمؤمن أن يحرص عليها.

---

(١) أخرجه مسلم (٩٠٤).